ومن حسنات الاسقاء ان يترك الماء في الارض جزءاً من المواد الذائبة فيه او المعلقة به ، الاولى تتحول بفضل تفاعلها الكيماوي مع المواد الاخرى الموجودة بالتراب ، والثانية ترسب بفضل وزنها الطبيعي وهذه المواد الذائبة في الماء او المعلقة به تختلف في جنسها وتزيد كيميتها وتنقص بحسب اصل الماء والاراضي التي مر بها قبل استعماله ومعنى هذا ان ماءَ السقي كثيرا ما يكون سمادا نافعا بما يتركه في الارض من المواد الغذائية على ان لهذه الحسنة نقيضها ايضا ، لان ماءَ السقي اذا كان خالياً من بعض المواد فهو ياخذها من التراب الذي سقاه . ومن الفلاحين الذين لهم اراضي يزيد غناها عن حاجات النبات من يبحث عن الماء الخالي من المواد المغذية فيستعمله لتخفيض كمية تلك المواد من ارضه .

ومن حسنات الاسقاء تعديل حرارة الارض ، ففي اوان البرد يكون الماء أشد حرارة من الارض فيعين النبات على نموه وبخلاف ذالك في المصيف .

على أن فن الاسقاء يتطلب من القائم به عزما ونباهة ومعرفة تامة بالعمل الذي يقدم عليه لان الاسقاءَ اذا اجري بغير معرفة كافية تنقلب حسناته سيئات وتتسبب عنه اضرار عظيمة تفسد التربة وتضر النبات وربما تخل بالصحة العامة ومما يجب درسه باتقان قبل تعاطي السقي في ارض معينة قابلية طبقتها العليا وطبقتها السفلى لنفوذ الماء فاذا كانت تلك القابلية في احدى الطبقتين أو في كلتيهما قليلة مكث ماءَ السقي في الارض اكثر مما يجب وحدثت عن مكثه الاضرار التي أشرنا اليها في صدر المقال ووجب على الفلاح ان يسقي من جهة وأن ينشف من جهة اخرى والا فسدت ارضه وصارت غير صالحة للفلاحة وسقطت قيمتها عن قيمة الاراضي التي تجاورها ولم تسق بالكلية فكم من الاراضي سقيت في بعض النواحي من الجزائر وتحولت بالاسقاء الى امراج تهدد صحة سكان النواحي التي تجاورها بما ينمو فيها من جيوش الناموس الناقل لحمى المستنقعات المخطرة .

عمر بن عبد الجليل (يتبع)

دمعة على شوقي

رحماك رب وحنانيك ! ما لهذه الشهقة الراجفة الواجفة تصطرخ من قاصي اجواء السماء الى الصميم من اجواف الارض ؟

رب اني أتحسس خفق النعال وصفق الاكف وصريف الاسنان ومكاء الشفاء وبكاء العيون ففيم هذه الوجبه والهيعة وعلام هذا الضجيج والعجيج والنشيج ؟

رب اني أرى في الاقلام رشقا وفي الصحف مشقا وفي المحابر دفقا وعلي الحياة حدادا وفي الشمس سوادا والكتاب حيارى والشعراء سكارى . فماذا هو خطب العالم العربي من جديد ؟

أهبط من السماء هول على الارض أم طاف بالناس طائف منك وبدؤوا يشعرون ....

أم مات شوقي ؟ فان يكن هذا خطبنا اليوم ويا شجياه ! فليجل الامر ويفدح الخطب وليلبس الاسلام حدادا ثانية حداده !

بالامس مات حافظ فثكله الشرق العربي وتقرحت له الاماق واندملت الملاطم وبكته المعالم والمجاهل والحياة كلها وما عتم ان

احمد شوقي

تكفكف من عبراتها عليه لغة الضاد التي كانت فاجعتها به اكبر حتى عاض فانهار أشمخ ركن من اركان حضارتنا الادبية وتقوض اعلى جانب من جوانب صرح ثروتنا الفكرية وسكت فجأة ذلك الصوت المتهدج العميق المسماع الذي كنا من الحين الى الاخر نبده بدوى انقضاض وحيه السيار في صحاصح البسيط وله فيها مثل صدى اصطكاك الصاعقة على الجلمود،

ذلك هو قعود الشعر الرصين المنبعث من زناد قريحة معجزة البيان العربي احمد شوقي بك الذي قام على حكومة الشعر دولة وحده فكان امة في فرد وما كان فردا في امة،

نعم ان شوقي كان امة وحده، فهذه حياته السياسية الادبية نتناولها فنجدها القطعة الكبرى من تاريخ الشرق بل العالم العربي ونريد ان نلمس شخصيته بمفردها ولاكننا نضطر اضطرارا الى ان نلمس معها وحدة الاسلام وما يتصل بها والخلافة وما انتهت اليه والحرب التركية وما نتج عنها وتاج مصر ودولتها والشرق وقضيته والفتح والجلاء والاستقلال والانتداب والحرب والسلم والاقتصاد والمؤتمر وما اليها من حوادث البلاد العربية وشئون الاسلام. وعلى ضخامتها فهي فقط احدى مواطن عظمة شوقي ولا عجب اذا تعددت له مواطن العظمة وكانت كلها ضخمة فهو الابن البكر والوارث الحي لمجد مصر التي هي آخر دولة انحطت من ممالك العرب واول دولة نهضت منها محتفظة للاخلاف بتراث الاسلاف ومغذية عقول سواد العرب النازلين في أرجاء القارتين العظيمتين اسيا وايفريقيا.

مرت نبوءة الشعر فترة طويلة امتدت منذ العصر العباسي الذي كان يحلق في جو سمائه خيال ابي الطيب الى عصر الدولة الطولونية بمصر، فالفاطمة فالايوبية فدولة الاتراك المماليك فدولة الجراكسة فدولة الترك العثمانية وما نبغ فيها واحد من الناس يملافراغ مقعد الشعر العربي بحق، حتى جاء محمود سامي البارودي يحمل الى الناس علم الشعر، ويبشر الجيل برسول للقريض ياتي من بعد محمود اسمه (احمد) واذا بشوقي يهرول في اقباله الينا، ويستنصت الناس ليؤدي رسالة الحكمة من الشعر الى شباب الامس ورجال اليوم فيقول:

يا شباب الغد ابناي الفدى
لكم أكرم وأعزز بالفداء
هل يمد الله لي العيش عسى
ان أراكم في الفريق السعداء
وأرى تاجكم فوق السها
وأرى عرشكم فوق ذكاء
أمة للخلد ما تبني اذا
ما بنى الناس جميعاً للعفاء
تعصم الاجساد من عادى البلى
وتقي الآثار من عادي الفناء
ان أسأنا لكم او لم نسئ
نحن هلكى فلكم طول البقاء
عصركم حي ومستقبلكم
في يمين الله خير الامناء
لا تقولوا حطنا الدهر فما
هو الا من خيل الشعراء
باطن الامة في ظاهرها
انما السائل من لون الاناء
فخذوا العلم على أعلامه
واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرءوا تاريخكم واحتفظوا
بفصيح جاءكم من فصحاء
أنزل الله على السنهم
وحيه في اعصر الوحي الوضاء
واحكموا الارض بسلطان فما
خلقت نصرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الارض فان
هي ضاقت فاطلبوه في السماء

اجل . دوى في الفضاء صوت هذا البشير الناطق بالفيض الطهري من السماء ، فكبر الجيل وهلل ، وهتف وصفق . وبدا يصغي الى الشاعر . وبدأ الشاعر ينشد اليد ، فما تلكأ ولا نكص ، ولا قبع ولا اقعى . ولا اخطأت له مخيلة او رجعت عليه محسبة ، حتى تذكر الناس وادركوا انه شوقي . ومن ذا يكون هو شوقي ؟

شوقي شخص فكرة لا شخص انسان ومصاصة نبرغ لاهيكل لحم ودم لا بل نهزة شعور ، ونغبة ابداع ونهبة بيان ومحض خيال من الشعر جاء للناس منذ بكتاب الشوقيات ويرجع فهل ترجع معه شوقياته ؟ كلا ثم كلا .

الشوقيات كتاب الدهر الخالد الذي احرزت بد المكتبة العربية فتحها الجديد في عالم الادب والجبيرة المرهمية التي ثم بها صماد ما ابقته مخالب عوادي الحريق والغرق والسرقة والغصب من خدوش وجروح في جبين ثقافة الاسلام وبيان العرب . كتاب تطالعك فتطالعك من كل مربع فيه ومرتع طبيعة خاصة وعنصر طريف ولهجة مستقلة وعقلية شاخصة ونفسية قائمة ونفس طويل يستهويك ويزدهيك او يقتلك ويحييك ثم لا يزال يتدرج معك الى ان يقف بك على دنيا في بيت وعالم في كلمة وشعر في سحر وسحر في شعر وحكمة في عزيمة لايلبث معها كل ذالك ان يتلاشى امامك حتى لايبقى لك باقيا الا عقل شوقي عاملا فيك ومؤثرا عليك لانه شعره وشعره خطاب القلب للقلب وسفير النفس للنفس . ونجوى السماء الى الارض . ولا خير في خطاب غير مبين . ولا في نجوى غير حكيم .

ثم مادا عساني ان اقول في الشوقيات وان اسد الشعر لرابض في غيلها بل فردوسها المفتوح الداني القطوف المريع الجناب الرحب الباع المزهر المسارح المخصب المنادح الغدق الحياض والغياض والرياض .

ان قلت انه شعر مهندم الديباجة مهلهل الصياغة مفوف الحياكة مهفهف الاسلوب فضفاض المعنى ممشوق المبنى مرفرف الخيال ريض القافية فاني لاجده في احيان كثيرة فوق ذالك واعلى واحلى منه واغلى لانه شعر الطبيعة الصامتة والهام الحقيقة الناطقة ولسان البيئة الشرقية وترجمان العصر الحاضر . وحجة من حجج الاسلام على بنيه او كما قال المنفلوطي فيه (شاعر السماء والماء والغابة الفيحاء والروضة الغناء . بينما هو طائر محلق في سماء الخيال يجمع الدنيا اليه بنظرة اذا هو سارب في مدب السرائر يتلمس مكامن الرغبات ويستثير كوامن الوجدانات فتراى شعره لوح الصبي في مكتبه وسبحة الناسك في صومعته وزاد المسافر في وحشته وكاس الشارب ودمعة الباكي ورجاء العاشق وملاة الحزين وكان بين قلبه وبين جميع القلوب اسلاكا مكهربة فهي تخفق لخفوقه وتسكن لسكونه) .

وان انا قلت فيه شعر مهشم الطلعة مخضرم الصفحة متكائد السبيل منقبض المغزى منحدر المطار مشوش المبنى شموس القافية فاني وايم الله لاجده كذالك واشبه به وامثل له واوقع عليه واقرب اليه لانه ايضا شعر شوقي وما كان اقرب شوقي الى التمرد والثوران والتبدل والانتقال فهو الشاعر الحر الطليق الذي ماكان يكاد يقيده الوزن او يحبسه الوضع او تقف به القافية ولو ان شعره من الموزون المقفى لان عاطفته لم تكن عاطفة فردية ، ولاكنها كانت مجموع خوالج اجتماعية تؤدي رسالة الناس الى الناس وما اكثر الوان امالهم وآلامهم واعمق سرائرهم واشد اختلاف الفكرة فيها او لاندكما قال حافظ فيه (ظريف الوزن . لطيف القافية . خاطره طوع لسانه . وبيانه اسير بنانه . كانما يتناول الشعر من كمه لسهولة متناوله عليه . الا انه مكثار . وقل ان يسلم المكثار من العثار . فشعره كما قال الاصمعي في شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب) او كما قال فيه سطيح لصاحبيه (انه ارقكم طبعا واجلكم صنعا . فهو ان ركب الغزل والنسيب . كان كانه يوحى اليه من قريب . واذا اسلك سبيل المديح فقد عجز عن وصفه سطيح . الا انه ضيق المجال وان كان واسع الخيال . يقع له المعنى الجليل في سبحات الفكر الطويل . فيمسكه خاطره وتحرص عليه سرائره والمعاني كالظباء كثيرة النفار . شديدة الاحضار . فهي ان لم تجد من نصارة الالفاظ خميلة تسنح فيها . او لم تظفر من عذوبتها بعيون تنهل من نواحيها . ذهبت عنها ان لم يضق بها المذهب ، وكذالك حالها في شعر صاحبكم . فهي اما نافرة . واما حزينة باسرة . ولو انه منح من دقة المباني . مامنح من رقة المعاني فسلم اسلوبه من ذلك التعقيد . لكان شاعركم غير مدافع وواحدكم غير منازع) .

وبعد كل هذا . فان رأيي الخاص في شوقي . انه شاعر الطبع كما انه شاعر الصنعة . ولاكنه بفضل شاعريته الصنعوية خاصة ، تمكن من ان يجيء ديوانه كشكول قرائح ومعرض شاعريات وميدان سجايا . ومجمع فنون من البيان القديم والحديث . فكان بذالك على الناس مجددا في ثوب رجعي (ومن التجديد بعث القديم) وما كان عليهم رجعيا اسنا في ملاءة مجدد .

ولا احسب شوقي . وقد استطاع ان يحشر الشعر في صعيده ، الا انه كان يكسب اجنحة كاجنحة ديك الجن . وبصيرة كبصيرة ابي العلاء . ومادة كمادة ابن الرومي . وقلبا خفاقا كقلب المتنبي ، والا لما كنت اقرؤ الشوقيات . فاجد فيها من نسيج البحتري هذا ، وهذا من مدائح ابي تمام وذالك من خمريات ابي نواس والاخر من تشبيهات ابن المعتز او خطرات ابن هانيء وانفة الرضي وحنين ابن زيدون ثم هذه من عكاظية امريء القيس وحوليات زهير وهاشميات الكميت او جعجعة طرفة وهدير القطامي وهديل الخطفى وقعقعة زؤبة والعجاج وزياد وعبد الملك والحجاج افلا ينهض بعض هذا امارة وحده على شدة تعلق الغرض عند شوقي بحشر العقول وتشريك المادة وتلوين صبغة الشعر جريا وراء ضم وحدات اللهجة البيانية في وحدة تامة تمكن من التجديد بحيلة الباس القديم لبوس الجديد ؟

وانت ايها الناظر في الشوقيات ببصيرتك ، انظر بها الى هذه الارواح الزكية ارواح اولائك الشعراء المساعير كيف انها تتهافت مرفرفة على كتاب الشوقيات في اليد او الجيب ام المكتبة ، ثم اليس ذالك من عنوان الحق في ما اقول ؟

الحق ان روح التجديد في شوقي من جهة وهيامه الكبير بترسم خطى الاقدمين من جهة اخرى ، هما الذان تقدما به لان يخرج الينا هذا الذي قد نحسبه خليطا من ذهب وخزف وتبر وتراب وغث وسمين ، على انه لايسعنا الا ان نحمد بالاخص هذا الهيام الذي جعله يعمد الى مثل سينية ابى عبادة البحتري في وصف ايوان كسرى تلك التي يقول فيها صاحب الفيح القسي في الفتح القدسي (انظر الى ايوان كسرى وسينية البحتري في وصفه ، تجد الايوان قد خرت شفعاته ، وعفرت شرفاته ، وتجد سينية البحتري قد بقي بها كسرى في ديوانه اضعاف ما بقي شخصه في ايوانه) فيعارضها بتلك السينية العامرة البديعة العصماء في وصف قصر الحمراء الذي كذالك قد اندرست بهجته من الارض وبقيت في الشوقية وهو نفسه الذي عشقه في معارضة دالية الحصري ابي الحسن الضرير القيراوني بداليته الشوقية المختالة الساحرة التي جاءت غرة وضاءة في جبين الادب العصري العام ، وهو ايضا الذي حدا به لان يقف موقف المؤرخ الخبير باسرار الشريعة وسير الاسلام والمنافح الذائد عنه والراد على اعدائه شبهاتهم فيه ، وذالك في قصيدته الميمية الفيحاء العالية الشهيرة (نهج البردة) في معارضة بردة الشاعر البوصيري ، تلك التي قدمها للخديوي السابق تذكارا لحجه سنة ١٣٢٧ واحتفل بها النقاد والكتاب والعلماء ، وشرحها منهم الشيخ سليم البشري شرحا وجيزا قال في نهايته (ولو ان الكاتب عمد الى كل بيت ففسر غريبه وفصل مجمله وافشى معناه ونزل عند مغازيه ، وعرض على وجوه العربية مفرده ومركبه ، وارسل الاشارة الى كل ما وقع اليه من فائق البلاغة وفنون البديع وطلب القصة التي يومئ اليها فيه ، ووازن بينه وبين ما يجانسه من الشعر ويسايره من الكلام وغير ذالك مما يجرى في شرح الكلام ويدخل في ابواب نقده وتفسيره ، لطال القصد ، وتجاوز الحد) .

وقالوا ان لشوقي غارات على مثل البحتري وابن الرومي وابى الطيب المتنبي في سرقات عدوها عليه واشادوا بها ، ونحن لانقول كما قال هاؤلاء ، ولاكننا نترفع بشوقي عن ان ينحط بشاعريته الباذخة المترفة الى خضيض الاستعانة بسرق كلام الغير ، او نعتذر عنه بما اعتذر به شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي حيث يقول : (قد يعلق بذهن الشاعر شطر من بيت سمعه لمتقدم فيأتي به بعد سنين في تضاعيف قصيدة له لاقتضاء المقام ذلك وهو ناس انه منقول فتقوم عليه القيامة ويرمى بالسرقة ... وكثير من المعاني مشترك لا يختص به شاعر دون آخر فمن أجاد في نظمه فهو احق به من غيره وهناك حقائق علمية ونواميس طبيعية قد اكتشفها افراد من العلماء فاذا بنى شاعر شعره على بعض هذه الحقائق فمن الحيف ان يوصف بالاخذ واي تثريب على من يبني القول على ما قرره العلم وهل التقدم الا اتباع العلم في خطواته ؟)

ولاكن برحى لك يا موت برحى ولعاً لك يا احمد ومرحى هم دحرجوك من اعلى السرير الى اسفل الحفير ولحدوك في جنن الثرى وأكنوك في غيابة الاخدود ، ثم أهالوا على عزيز خدك ذليل تراب الارض ونفضوا ايديهم منك ورجعوا ففعلوها هوجاء ، وركبوها عشواء خابطة فما كان أمضه حادثا واقساه .

شوقي ، آه ، وهل تعزيني عنك الاهات ؟ انهم أصفقوا عليك جموعا ، ولاكن سرعان ما تفرقوا عنك وحداناً الى الصروح الممردة والبروج المشيدة والجنود المجندة والدساكر الممددة ، وخلفوك وحدك في الجدث الملحد ، فهل نسوا انك باني صروح الرفاهية العلمية ومنشيء عوالي المعلات الشعرية وناسج حبر الشرف لادب الجيل العربي الحاضر ، وهل نسوا انك في سوق عكاظه صاحب الطم والرم والصادح والباغم والخيزرانة والصولجان ، أم يا ترى جهلوا انك شوقي ؟ وما أدراك ما انت ، انت شحرور النيل ودمية قصره وفاكهة دنياه وخطيب منبره وانت وقاية التاج وشاعر العروبة .

الله اكبر ، مت ياشوقي ، فانا لله وانا اليه راجعون ، عالما ببقائه واستعدادا للقائه وتقصياً لقضائه وامتياحا لرضاه ، الموت كأس مترعة كما قلت :

أرى دنيا ولا دنيا ... وناساً بعدهم ناس
سكارى نحن من كاس ... وموت هذه الكاس

فلابد من احتسائها حتى الثمالة منها ، كما انه راموز الاهي ضرب على الخلق ليتملى من الاعتبار به ، ولا كن هلا لوحت وعرضت اوتفرست او أرهصت لنزمع الثبات في موقف توديعك يوم محشر رحيلك ، ونصطبر عليك ماجورين احسن من ان نجزع لك مازورين

بلى لقد تظنيت بالموت فكان تظنيك حقاً وترجمت بغيب انتقالك الى جوار الله فكان ترجمك واقعاً كالذي أوحيت الى حافظ في رثائه

قد كنت أوثر ان تقول رثائي
يا منصف الموتى من الاحياء

فبينما نحن نترنم ونتنغم ونبدئ ونعيد ونصغي منك الى وحي العزاء عن حافظ ونتلو فيه بينات آي معجز أحمد، إذا بأحمد ينعاه الناعي ويا ويحه من ذا ينعى ويا ويح من يصدق ان احمد سيسكت سكوته الاخير فلا يعود ان يقول ولا نعود ان نسمعه.

او كالذي فعل ابو الكنانة زغلول لما قال: (انا انتهيت) وقلتها وانتهيت مثله فأصبحت ثاني الاثنين اذ هما في الضريح وثالث الأثافي على أمة الشرق الذي سوف يعرفك ميتاً اوعظ منك حيا وصامتاً اشعر منك ناطقا

كلا ثم كلا، انك ما انتهيت ولن تنهي بعد، وانما انسدل ستار على مهزلة ليرتفع آخر عن حقيقة، ولتنطوي صفحة وتنتشر اخرى وليكتب عنك التاريخ بدوره ما أمليته عليه انت بدورك، فالوداع يا شوقي، وفي ذمة الخلود وعهدة اللانهاية:

عبد الاحد الكتاني

داعي الانسانية

أبت الى منزلي متأخرا وعيناي تذرف احر العبرات وقلبي يرجف ولساني يتلجلج ويداي ترتعدان فرقاً من تلكم المشاهد المؤثرة والمواقف المؤلمة المحزنة؛ مواقف جماعة البؤساء والبائسات المتشردة بصغارها تستعطف الهمم العالية فلا تجد من يعطف عليها وتسترحم اخوانها في الدين والنسب فلا يرحمونها؛ ثم تستنزف آخر عبرة من مآقيها امام هذا الجمهور الماثل في كل شخص من افراده عنوان الشرف والمجد ومنتهى الانسانية وغاية الشفقة والرحمة والحنان؛ و... لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا.

ينتصب هؤلاء البؤساء للمارة السعداء آملين من فضلهم واحسانهم وجودهم وكرمهم ان يمنوا عليهم بكسر خبز او فتاة مائدة فلا يسمعون في الجواب عن كل ذلك من افضل الناس واقربهم الى تلبية داعي الانسانية والتأثر بصوت الضمير الا هذه الكلمات التي تفننوا في عباراتها وأبدعوا ما شاءوا كانما هم يفهمون ان في تفننهم ذلك وفي تفصحهم في الفاظ الرد ما يغني اولائك المساكين عن طعام العشاء بمثل هذه الكليمات « الله يفتح » الله كريم » مولانا يجيب » والويل والصفع لهم اذا هم اعترضوا واحداً من السادات الكبراء

وقد اتخذ كثير من فضلائنا دليلا قاطعاً على عدم التأثر والعناية بأمر المتسولين والمتسولات قضايا لا أدري كيف تم تركيبها لهؤلاء الاجلاء ليحرموا أولائك الاشقياء حتى من اسف الآسف ودمعة الباكي من مثل انهم في العام الفلاني وجدوا بمرقعة المسكين الفلاني كذا وكذا من الذهب ولدى المسكين الفلاني كذا وكذا من الخبز فاني لا أرى من مبرر لهذا النبأ اكثر من البخل والقساوة ولا اكبر داع لقتل اولائك الابرياء من مثل هؤلاء المرجفين

فلو صح الامر على تقدير صحته فما جناية السواد الاعظم منهم ان ادخر اثنان او ثلاثة ما ربى على حاجياتهم من قطع الخبز وبعض دريهمات